مجلة بحوث الشرق الأوسط

مجلة علمية محكمة (معتمدة) شهرية

يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط

السنة السابعة والأربعون - تأسست عام ١٩٧٤

العدد الرابع والستون (يونيو ٢٠٢١)

الترقيم الدولي: (2536-9504)

الترقيم على الإنترنت: (2735-5233)

لا يسمح إطلاقا بترجمة هذه الدورية إلى أية لغة أخرى، أو إعادة إنتاج أو طبع أو نقل أو تخزين أي جزء منها على أية أنظمة استرجاع بأي شكل أو وسيلة، سواء إلكترونية أو ميكانيكية أو مغناطيسية، أو غيرها من الوسائل، دون الحصول على موافقة خطية مسبقة من مركز بحوث الشرق الأوسط.

All rights reserved. This Periodical is protected by copyright. No part of it may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without written permission from The Middle East Research Center.

الأراء الواردة داخل المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها وليست مسئولية مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية : ٢٤٣٣٠ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي: (Issn :2536 - 9504)

الترقيم على الإنترنت: (Online Issn :2735 - 5233)

مجلة بحوث الشرق الأوسط

مجلة علمية مُحكَّمة

متخصصة

في شئون الشرق الأوسط

مجلة مُعتمَدة من بنك المعرفة المصري

موقع المجلة على بنك المعرفة المصري

www.mercj.journals.ekb.eg

- معتمدة من الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية (*ARCI*) . المتوافقة مع قاعدة بيانات كلاريفيت *Clarivate* الفرنسية.
- معتمدة من مؤسسة أرسيف (*ARCIf*) للاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية ومعامل التأثير المتوافقة مع المعايير العالمية.
- تنشر الأعداد تباعًا على موقع دار المنظومة.

العدد الرابع والستون - يونيو ٢٠٢١

تصدر شهريًّا

السنة السابعة والأربعون - تأسست عام ١٩٧٤

المطبعة | مطبعة جامعة عين شمس
Ain Shams University Press

مجلة بحوث الشرق الأوسط (مجلة مُعتمدة)
دوريَّة علميَّة مُحكَّمَة (اثنا عشر عددًا سنويًّا)
يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

رئيس مجلس الإدارة
الأستاذ الدكتور / هشام تمراز
نائب رئيس الجامعة لشئون المجتمع وتنمية البيئة
ورئيس مجلس إدارة المركز

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور / أشرف مؤنس
مدير مركز بحوث الشرق الأوسط
والدراسات المستقبلية

هيئة التحرير
أ.د. محمد عبد الوهاب (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. حمدنا الله مصطفى (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. طارق منصور (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. محمد عبدالسلام (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. وجيه عبد الصادق عتيق (جامعة القاهرة - مصر)
أ.د. أحمد عبد العال سليم (جامعة حلوان - مصر)
أ.د. سلامة العطار (جامعة عين شمس - مصر)
لواء د. هشام الحلبي (أكاديمية ناصر العسكرية العليا - مصر)
أ.د. محمد يوسف القريشي (جامعة تكريت - العراق)
أ.د. عامر جادالله أبو جبلة (جامعة مؤتة - الأردن)
أ.د. نبيلة عبد الشكور حساني (جامعة الجزائر٢ - الجزائر)

إشراف إداري
أ/ عبير عبدالمنعم
أمين المركز

سكرتارية التحرير
أ/ نهال نوار رئيس وحدة البحوث العلمية
أ/ ناهد مبارز رئيس وحدة النشر
أ/ راندا نوار وحدة النشر
أ/ زينب أحمد وحدة النشر
أ/ شيماء بكر وحدة النشر

المحرر الفني
أ/ ياسر عبد العزيز
رئيس وحدة الدعم الفني

تنفيذ الغلاف والتجهيز والإخراج الفني
أ/ هند علي حسن وحدة الدعم الفني
أ/ رانيا محمد صلاح وحدة الدعم الفني

تدقيق ومراجعة لغوية
د. تامر سعد محمود

تصميم الغلاف أ.د. وائل القاضي

توجه المراسلات الخاصة بالمجلة إلى: أ.د. أشرف مؤنس، رئيس التحرير
البريد الإلكتروني للمجلة: Email: middle-east2017@hotmail.com
• وسائل التواصل:
جامعة عين شمس- شارع الخليفة المأمون- العباسية- القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص.ب: 11566
تليفون: 24662703 (202+) فاكس: 24854139 (202+) (موقع المجلة موبايل/واتساب): 01098805129(2+)

ترسل الأبحاث من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة المصري: www.mercj.journals.ekb.eg
ولن يلتفت إلى الأبحاث المرسلة عن طريق آخر

مجلة بحوث الشرق الأوسط

- رئيس التحرير أ.د. أشرف مؤنس

- الهيئة الاستشارية المصرية وفقًا للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الأسكندرية - مصر
- أ.د. أحمد الشربيني عميد كلية الآداب السابق - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. أحمد رجب محمد علي رزق عميد كلية الآثار - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. السيد فليفل عميد معهد البحوث والدراسات الأفريقية السابق - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. إيمان محمد عبد المنعم عامر رئيس قسم التاريخ السابق - كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. أيمن فؤاد سيد رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مصر
- أ.د. جمال شفيق أحمد محمد عامر كلية الدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. حمدي عبد الرحمن كلية الحقوق - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. حنان كامل متولي وكيل كلية الآداب لشئون التعليم والطلاب - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. صالح حسن المسلوت رئيس قسم التاريخ والحضارة الأسبق - كلية اللغة العربية
  فرع الزقازيق - جامعة الأزهر – مصر
  وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة
- أ.د. عادل عبد الحافظ عثمان حمزة كلية الآداب - جامعة المنيا،
  ومقرر لجنة الترقيات بالمجلس الأعلى للجامعات - مصر
- أ.د. عاصم الدسوقي عميد كلية الآداب الأسبق - جامعة حلوان - مصر
- أ.د. عبد الحميد شلبي كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر - مصر
- أ.د. عفاف سيد صبره كلية الدراسات الإنسانية بنات بالقاهرة - جامعة الأزهر - مصر
- أ.د.عفيفي محمود إبراهيم عبدالله كلية الآداب - جامعة بنها - مصر
- أ.د. فتحي الشرقاوي كلية الآداب - نائب رئيس جامعة عين شمس السابق - مصر
- أ.د. محمد الخزامي محمد عزيز عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة الجلالة - مصر
- أ.د. محمد السعيد أحمد كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
- لواء/ محمد عبد المقصود رئيس مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء - مصر
- أ.د. محمد مؤنس عوض كلية الآداب - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. مدحت محمد محمود أبو النصر كلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان
  قطاع الخدمة الاجتماعية بالمجلس الأعلى للجامعات ورئيس لجنة ترقية الأساتذة
- أ.د. مصطفى محمد البغدادي كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. نبيل السيد الطوخي كلية الآداب - جامعة المنيا - مصر
- أ.د. نهى عثمان عبد اللطيف عزمي كلية السياحة والفنادق - جامعة مدينة السادات - مصر

- الهيئة الاستشارية العربية والدولية وفقًا للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم خليل العَلاّف — جامعة الموصل- العراق
- أ.د. إبراهيم محمد بن حمد المزيني — كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية
- أ.د. أحمد الحسو — جامعة مؤتة- الأردن
  مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية - إنجلترا
- أ.د. أحمد عمر الزيلعي — جامعة الملك سعود- السعودية
  الأمين العام لجمعية التاريخ والآثار التاريخية
- أ.د. عبد الله حميد العتابي — كلية التربية للبنات - جامعة بغداد - العراق
- أ.د. عبد الله سعيد الغامدي — جامعة أم القرى - السعودية
  عضو مجلس كلية التاريخ، ومركز تحقيق التراث بمعهد المخطوطات
- أ.د. فيصل عبد الله الكندري — جامعة الكويت- الكويت
- أ.د. مجدي فارح — رئيس قسم الماجستير والدراسات العليا - جامعة تونس١ - تونس
- أ.د. محمد بهجت قبيسي — جامعة حلب- سوريا
- أ.د. محمود صالح الكروي — كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد- العراق

- *Prof. Dr. Albrecht Fuess* — Center for near and Middle Eastem Studies, University of Marburg, Germany
- *Prof. Dr. Andrew J. Smyth* — Southern Connecticut State University, USA
- *Prof. Dr. Graham Loud* — University Of Leeds, UK
- *Prof. Dr. Jeanne Dubino* — Appalachian State University, North Carolina, USA
- *Prof. Dr. Thomas Asbridge* — Queen Mary University of London, UK
- *Prof. Ulrike Freitag* — Institute of Islamic Studies, Belil Frie University, Germany

محتويات العدد ٦٤

عنـوان البحـــث	الصفحـــة
١- صـلاح الـدين الأيـوبي فـي كتابـات المؤرخـات المصـريات (١١٣٨-١١٩٣م) نمـاذج مختـارة	١ – ٢٨
أ. د. محمد مؤنس عوض	
٢- الحملـة المشـتركة (البريطانيـة العثمانيـة) ونهايـة الفرنسـيين في مصر	٢٩ – ٦٤
الباحثة/ انتظار هادي جاسم & أ.د. قبس ناطق محمد	
٣- الاعتمادية الأمنية المتبادلة في رابطة جنوب شرق آسيا	٦٥ – ٩٠
أ.م.د.سمير جسام راضي & الباحثة/ زمن ماجد عودة	
٤- موقف الملك عبدالله الثاني ملك المملكة الأردنية الهاشمية من التطرف والإرهاب دراسة في خطابه إلى العالم (١٩٩٩-٢٠٢٠)	٩١ – ١٢٨
د. بسّام عبدالسلام البطوش	
٥- الأطر التشكيلية في سورة الكهف «دراسة تحليلية»	١٢٩ – ١٥٠
أ.م.د. انتهاء عباس عليوي	
٦- التجديد والإصلاح الديني عند الإمام الخميني (قدس سره) ...	١٥١ – ١٧٤
أ.م.د. خليل عبد حسن	
٧- المعتزلـــة.. نشأتها - أسماؤها- أصولها الخمسة	١٧٥ - ٢١٠
الباحث/ حافظ جبار مجيد & أ.د. فيصل غازي مجهول	
٨- القاضي سعيد القُمّي «حياته- مؤلفاته- منابع ثقافته»	٢١١ – ٢٦٦
الباحث/ عمار سمور عجمي	

تابع محتويات العدد ٦٤

عنــوان البحـــث **الصفحـــة**

٩- الجذب والمثير البصري في عروض مسرح الطفل ..... **٢٦٧ - ٢٩٠**
أ.م. ميادة مجيد أمين الباجلان

١٠- القصدية وفعلها في تصميم المنتج الصناعي ..... **٢٩١ - ٣١٠**
أ.م.د. ضفاف غازي العبادي

11- Symbolik der Farbphraseologismen im Deutschen und Arabischen «kontrastive Studie» ..... **1 - 30**
رمزية مصطلحات اللون باللغتين الألمانية والعربية «دراسة مقارنة»
Abdullnassir N. Toumah & Mazin Jumaa Atiyah

صلاح الدين الأيوبي

في كتابات المؤرخات المصريات

(١١٣٨-١١٩٣م)

نماذج مختارة

أ. د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى- جامعة الشارقة

www.mercj.journals.ekb.eg

الملخص:

يسلط هذا البحث الضوء على رؤية بعض المؤرخات المصريات نحو صلاح الدين الأيوبي عصر الحروب الصليبية. في هذا البحث تم اتخاذ أربع مؤرخات كنماذج مختارة ونلاحظ إنجازاته العظيمة خلال تلك المرحلة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى.

mercj-journals-ekb-eg
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

Abstract:

This paper female Egyptian historians towards saladin the famous champion during age of the crusades

In this paper we took four of them as selected models we notice that they praised him and highly great achievements during that vital period in history of relations between east and west in the middle ages.

mercj-journals-ekb-eg
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

يتناول هذا البحث بالدراسة؛ صلاح الدين الأيوبي من خلال كتابات المؤرخات المصريات، وتم اختيار عدد منهم منهن كنماذج مختارة.

واقع الأمر، تمتاز المدرسة التاريخية المصرية الحديثة بظاهرة وجود عدد من المؤرخات في مجال دراسات تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وعلاقاتها بالشرق بصورة لا نجدها لدى العديد من الأقطار العربية الشقيقة المجاورة بمثل هذا التنوع الكمي والكيفي دون أن نتهم بالشفونية الخرقاء.

في هذا البحث سنلقي الأضواء الكاشفة على عدد منهن في صورة التالي:

أ.د. سيدة كاشف.

أ.د. فتحية النبراوي.

أ.د. عفاف صبرة

أ.د. زبيدة عطا.

د. زينب عبد القوي.

كما يسعى البحث إلى عقد مقارنة بين رؤية المؤرخات المذكورات من خلال أوجه التشابه والاختلاف لتعميق صورة صلاح الدين الأيوبي لدى مؤرخات المدرسة المصرية الحديثة لدراسات العصور الوسطى.

أما المؤرخة الأولى؛ وهي: سيدة كاشف[١]. فتعد أول مؤرخة عربية حديثة، وقد خدمت المكتبة العربية العديد من المؤلفات[٢]، وخصت صلاح الدين الأيوبي بدراسة مستقلة بعنوان: «صلاح الدين الأيوبي بطل وحدة الصف العربي الإسلامي وبطل الجهاد في سبيل الله»، وصدرت ببيروت عام ١٩٨٦م، وسوف يكون محور دراستنا لرؤيتها لذلك السلطان صاحب المكانة البارزة عصر الحروب الصليبية.

تناولت سيدة كاشف تاريخ صلاح الدين خلال مرحلته الباكرة، وارتباطه بنور الدين محمود (١١٤٦-١١٧٤م)، وفي ذلك قالت: «بعد أن أصبحت دمشق تابعة

لنور الدين محمود، خلف صلاح الدين أخاه الأكبر توران شاه في شحنكية في سنة ٥٥١م (١١٥٦م)، غير أنه لم يلبث أن تخلى عن منصبه لما وقع بينه وبين صاحب الديوان من خلاف، فعاد صلاح الدين إلى حلب مرة أخرى، وفي حلب أحاطه نور الدين زنكي بعنايته ورعايته... وبذلك أصبح صلاح الدين يلازم نور الدين. فكان كما ذكر المؤرخ أبو شامه: «لا يفارقه في سفر ولا حضر»... ثم ولي صلاح الدين شحنكية دمشق مرة أخرى في سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م....» (٣).

واقع الأمر، تفيد الفقرة المذكورة في تأكيد حقيقة محورية مفادها قدرة نور الدين محمود ذلك السياسي المحنك القدير على اكتشاف قدرات صلاح الدين الأيوبي ووضعه في المنصب الملائم له، وكان عمله في مجال الشرطة له تأثيره البارز على مستقبل حياته السياسية؛ إذ توافر لديه الحس الأمني والقدرة على توقع الخطر من جانب الأعداء.

لا نغفل كذلك إشارة تلك المؤرخة الرائدة إلى ملازمته لأستاذه نور الدين محمود على نحو كان له تأثيره العميق في اكتسابه للعديد من المهارات السياسية والعسكرية إلى أن تكونت لديه خبرته الشخصية الخاصة به ومع ذلك يظل تأثير نور الدين محمود عليه لا يمكن إنكاره أو التقليل من شأنه.

من ناحية أخرى، أدركت سيدة كاشف أن الأحداث السياسية العصيبة التي قابلها صلاح الدين الأيوبي منذ قدومه مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر كان لها دورها في تعميق خبرته السياسية، لذلك لا عجب إذا وجدناه يحقق إنجازات بارزة خلال مرحلة زمنية محدودة نسبيًّا، وفي ذلك أوردت ما نصه: «أثبت صلاح الدين الأيوبي منذ قدومه إلى مصر في صحبة عمه أسد الدين شيركوه يقظة وحنكة سياسية وإدارية فضلاً عن شجاعته في جهاد الصليبيين وأعداء الوطن الإسلامي وعدم التهاون في القضاء على مثيري الشغب والفتن الداخلية، ولا شك أن الأحداث والسنين القصيرة التي تلت أولى خطوات صلاح الدين في مصر عجمت عوده وأكسبته مرانًا وخبرة أثبتتها الأعمال العظيمة التي

قام بها هذا البطل الخالد في مدة لا تتجاوز ربع قرن من الزمان»[٤].

مع ذلك، علينا إدراك ضرورة عدم الوقوع في أسر البطل الفرد الذي يحرك خيوط التاريخ؛ إذ لم يتمكن ذلك السلطان المجاهد من تحقيق كافة الإنجازات التاريخية البارزة منفردًا، بل كان لديه عدد وافر من المستشارين والقادة السياسيين والعسكريين الذين أخلصوا النصح له وعلينا ألا نغفل دورهم المحوري في صنع تلك الإنجازات. كما نؤكد على أن أصغر جندي في جيشه صاحب فضل على السلطان نفسه؛ لأن التاريخ عمومًا بمثابة فريق عمل متكامل يجمع بين البطل الفرد والبطل الشعبي في توازن تام تحقيقًا للأهداف العليا المنشودة.

من زاوية أخرى، تأملت سيدة كاشف إنجاز إسقاط الخلافة الفاطمية عام ١١٧١م وأدركت محوريته كحدث كانت له تداعياته المستقبلية البارزة وفي ذلك أوردت ما نصه: «لم يكن سقوط الخلافة الفاطمية مجرد انقلاب عادي، وإنما كان حدثًا خطيرًا في تاريخ مصر والعالم الإسلامي، إذ سقطت الخلافة الفاطمية بعد قيامها في مصر بقرنين من الزمان لتصبح الخلافة العباسية الخلافة الوحيدة التي يدين لها العالم الإسلامي بالولاء الروحي»[٥].

واقع الأمر، كان ذلك الحدث بمثابة ثورة حقيقية دونما مبالغة؛ فمصر الفاطمية التي كانت تعاني من التصارع السياسي وبددت طاقاتها في غير صالح قضية الجهاد ضد الصليبيين، الآن تستيقظ وتعود إلى حضن الخلافة العباسية الواحدة وليس بالغريب القول بأنه بعد (١٦) عامًا فقط من ذلك الحدث المحوري، سوف يتم استرداد بيت المقدس وإسقاط المملكة الصليبية هناك.

لقد جاء إسقاط الخلافة الفاطمية، بمثابة تصحيح الوضع الذي كان قائمًا مع مقدم الغزاة الصليبيين إلى المنطقة في أخريات القرن ١١م، حيث عانت من التشرذم السياسي والتصارع المذهبي والطائفي، على نحو مثل التربة الصالحة لميلاد ونمو

الكيان الصليبي الغازي الدخيل.

إضافة إلى ذلك، لا نغفل أن «القاعدة المصرية» ستكون نواة لمشروع الوحدة بين مصر وبلاد الشام تحقيقًا «للشامصر» أو الرابطة الجغرافية والتاريخية بين مصر وبلاد الشام عبر عصور التاريخ.

من زاوية أخرى، نؤكد على أن السقوط في التاريخ دومًا من الداخل قبل الخارج، إذ تعاونت عوامل النحر الداخلية مع العوامل الخارجية على نحو أدى في النهاية إلى صنع إنجاز عام ١١٧١م غير المسبوق في تاريخ المنطقة. وهكذا كانت الخلافة الفاطمية بمثابة كيان ضعيف احتضر طويلاً إلى أن أطلق عليه صلاح الدين الأيوبي رصاصة الرحمة كما يقال.

لا نغفل كذلك، إدراك تلك المؤرخة القديرة لأهمية الصراع بين المسلمين والصليبيين في نطاق البحر الأحمر وهو أمر سيكون له تأثيره العميق على الصراع في مجال شرقي البحر المتوسط Levant، لذلك سلطت الأضواء على رغبة صلاح الدين الأيوبي في حصار مملكة بيت المقدس الصليبية جنوبًا، ولذلك قالت: «اتجه صلاح الدين الأيوبي إلى أيلة. وهي العقبة الحالية على رأس البحر الأحمر لفتحها في ربيع الأول ٥١٦م (أواخر سنة ١١٧٠م) وذلك للسيطرة على مفاتيح البحر الأحمر، ولتأمين الطرق البحرية والبرية بين بلاد المسلمين، ولتطويق الممتلكات الصليبية واسترداد الأراضي الإسلامية»[٦].

واقع الأمر، أدرك صلاح الدين الأيوبي بثاقب بصره أن الهند والتجارة معها تعد بمثابة العمق الاستراتيجي للاقتصاد الأيوبي خاصة في مجال تجارة التوابل Spices. لذلك سعى إلى فرض سيادته العسكرية والسياسية على البحر الأحمر المؤدي لها، ناهيك عن تأمين الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز حتى يظهر بمظهر حامي تلك المقدسات وخادم الحرمين الشريفين، وكان لذلك دوره في دعم

مركزه السياسي أمام خصومه من المسلمين وكذلك الصليبيين أنفسهم.

لا نغفل كذلك، أهمية العام المذكور، وهو ١١٧٠م، أي قبل إسقاط الخلافة الفاطمية بعام، على نحو أكد لنا بما لا يدع مجالاً للريب على نية صلاح الدين الأيوبي في خوض غمار صراع مرير مع الصليبيين منذ تلك المرحلة الباكرة، وإدراكه العميق لأهمية البعد الجغرافي في مستقبل الصراع الإسلامي – الصليبي، ولا شك أن حملات شيركوه على مصر وتسابقه مع الملك الصليبي عموري، قد أكد له أهمية إخضاع بعض المناطق الحدودية المفصلية التي كانت تمنح لمن يسيطر عليها مميزات استراتيجية خاصة تأكدت مع مستقبل الأيام.

كما تعرضت الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف لحملة أرناط أو رينو دي شاتيون Renauld de Chatillon[٧]، على الحجاز عام ١١٨٣م، وتناولت أهدافها قائلة: «في المصادر الإسلامية أن الصليبيين استهدفوا من وراء تلك العملية الجريئة تحقيق هدفين خطيرين، أولهما قطع طريق الحجاج وضرب المسلمين في قبلتهم، وثانيهما الاستيلاء بعد ذلك على عدن في جنوب البحر الأحمر لاحتكار تجارة المحيط الهندي والشرق الأقصى»[٨].

واقع الأمر، أختلف مع المؤرخة البارزة في أن الهدف كان إخضاع عدن، لعدم قدرة الصليبيين العسكرية على ذلك، ولبعدها عن مركز المملكة الصليبية في بلاد الشام وتحديدًا في الساحل والسهل الساحلي، وأتصور أن تلك العملية كان الجانب الدعائي فيها بارزًا، وقد أراد أرناط ذلك الفارس الصليبي المتعصب ضرب المسلمين في مقدساتهم في الحجاز وإصابة التجارة في البحر الأحمر بالاضطراب، وعلينا عدم الأخذ بكل ما ورد في المصادر الإسلامية الأيوبية بشأن تلك المغامرة الصليبية الفاشلة نظرًا للخلط بين التاريخ والدعاية السياسية، فعلى سبيل المثال قيل أن الغزاة خلالها كانوا على بعد مسيرة يوم واحد من المدينة المنورة، وهو أمر أبعد ما يكون عن الواقع التاريخي حينذاك والهدف من إيراد مثل تلك الأقوال. دعم نفوذ صلاح الدين

الأيوبي سياسيًّا وإظهاره بمظهر حامي الحرمين الشريفين في الحجاز.

لا أغفل هنا، الاختلاف مع مؤرختنا في وصفها للحملة المذكورة بأنها جريئة، بل أراها مندفعة ومتهورة وتمثل الدليل الوضاح على الحمق السياسي لدى أرناط الذي قدم خدمة بارزة لصلاح الدين الأيوبي، حيث أفاده سياسيًّا عندما تمكن الأسطول الأيوبي بقيادة حسام الدين لؤلؤ[٩] من القضاء عليها.

أضف إلى ذلك، تناولت أ.د. سيدة كاشف معركة حطين[١٠] الفاصلة التي جرت وقائعها في ٤ يوليو عام ١١٨٧م وعنها قالت: «ومما يزيد من قيمة هذا النصر الذي أحرزه البطل صلاح الدين أن هذه المعركة كانت تشتمل على أكبر عدد استطاع الصليبيون أن يجمعوه من إمارتهم المختلفة، كما كانت تضم معظم قوادهم ورؤسائهم وملوكهم، وكان ممن وقع في الأسر الملك جاي لوز جنان صاحب بيت المقدس، وأرناط صاحب الكرك»[١١].

مرة أخرى، من الضروري القول بأن الجيش الأيوبي[١٢] بقيادة صلاح الدين تمكن من تحقيق ذلك الانتصار الحاسم الذي غير من الجغرافيا السياسية للمنطقة لصالح المسلمين ونتج عنه تدمير الجيش الصليبي الذي وقع أفراده بين قتيل وجريح وأسير، ثم فتح مدن الساحل الشامي، وكذلك فتح بيت المقدس في ٢ أكتوبر ١١٨٧م وإسقاط القلاع الصليبية Crusader Castles [١٣]، ما أكد محوريتها وكونها المعركة الحاسمة الأكبر في تاريخ الصراع الإسلامي – الصليبي على مدى القرنين ١٢، ١٣م دون مبالغة.

بصفة عامة، حظي صلاح الدين الأيوبي بتقدير كبير من مؤرختنا الرائدة وقد ظهر انحيازها له منذ العنوان ذاته الذي جاء هكذا: «صلاح الدين الأيوبي بطل وحدة الصف العربي الإسلامي وبطل الجهاد في سبيل الله»، وقد قالت عنه ما نصه: «يعتبر صلاح الدين من أعظم رجال التاريخ في العالم، إذ كان قائدًا عظيمًا وسياسيًّا محنكًا وإداريًّا ممتازًا. وكان معروفًا بالتقوى والزهد والورع والشهامة والمروءة والتواضع.

وكان الأعداء من الفرنج يعجبون بأخلاقه ويعدونه مثال الشهامة الشرقية[١٤].

واقع الأمر، لم تغادر مؤرختنا الحقيقة عندما أشارت إلى إعجاب الصليبيين بأخلاقه ولا أدل على ذلك مما ذكره مؤرخهم البارز وليم الصوري[١٥] William of Tyre في كتابه «تاريخ الأعمال» Historia rerum، حيث ذكر عنه أنه فارس شجاع في الحرب، حكيم، حذر، ذكي، كريم إلى درجة السخاء، ويملك روح المبادرة[١٦].

كما امتدحته مؤرختنا في تقييمها الختامي له قائلة: «... بطل الإسلام والعروبة الذي لم يعمل لكسب شخصي أو منفعة ذاتية، وإنما انصرف إلى خدمة الإسلام والمسلمين، وكانت حياته كلها عطاء ولم يستطع أعداؤه أنفسهم إلا الإقرار له بالشهامة والنبل في تصرفاته وأخلاقه وفي معاملة الخصم المغلوب»[١٧].

واقع الأمر، تأكد ذلك القول، عندما دخل صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس في ٢ أكتوبر عام ١١٨٧م دخولاً سلميًّا فلم يرق قطرة دماء صليبية واحدة، بل افتدى من ماله الخاص مئات الصليبيين الفقراء.

أما المؤرخة التالية، فهي أ. فتحية النبراوي[١٨]، فقد تناولت صلاح الدين الأيوبي في كتابها بعنوان: «العلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى ١٠٠٠-١٣٠٠م» الصادر بالقاهرة عام ٢٠٠٦م.

أدركت مؤرختنا أهمية إسقاط الخلافة الفاطمية عام ١١٧١م، وفي ذلك أوردت ما نصه: «بعد أن تولى صلاح الدين الوزارة للعاضد بدأ يعد العدة للاستقرار في مصر، وإعادتها إلى ما يجب أن تكون عليه بما تمليه مكانتها الإسلامية، ففي عام ٥٦٧هـ/١١٧١م أعلن الخطبة لبني العباس ودعا للخليفة العباسي المستعصي على منابر القاهرة وبذلك قضى على الخلافة الفاطمية في مصر بعد أن ظلت تحكم البلاد قرابة قرنين ونصف من الزمان»[١٩].

واقع الأمر، مع تقديري التام لذلك الرأي إلا إنني اختلف مع مؤرختنا في

تحديد مدة بقاء الفاطميين في مصر، حيث ذكرت بقاءهم قرابة قرنين ونصف من الزمان، والأدق قرنين فقط، إذ دخلوها عام ٩٦٩م، وسقطت دولتهم عام ١١٧١م، فتكون مدة حكمهم قرنين وعامين فقط.

كما تعرضت لمواجهته العديد من المشكلات في مصر عقب إسقاط الحكم الفاطمي، وفي ذلك أوردت ما نصه: «وجه صلاح الدين اهتمامًا بالغًا إلى إعداد جيش قوي يمكن بواسطته أن يضمن سلامة مصر من أي عدوان خارجي، كما يضمن أيضًا القضاء على أية فتن داخلية، بالإضافة إلى المهمة الكبرى التي سوف تقع على عاتق ذلك الجيش وهي الجهاد ضد الصليبيين.

تمكن صلاح الدين أن يقضي على القوى المعارضة في مصر مستخدمًا كافة الوسائل الممكنة ومنها القوة العسكرية لكن الأغلبية من سكان مصر رأوا فيه قائدًا يستطيع أن يواجه الخطر الصليبي الذي كان يهدد مصر بالدرجة الأولى»[٢٠].

واقع الأمر، كان صلاح الدين مضطرًا لاستخدام القوة العسكرية خلال تلك المرحلة الباكرة من أجل مواجهة الخصوم، مع ملاحظة أنه لم يكن يفضلها كحل أولي في سياساته الخارجية فيما بعد سواء تجاه المسلمين أو الصليبيين إلا بعد أن أعيته الوسائل الدبلوماسية.

كذلك تعرضت أ.د. فتحية النبراوي لمعركة حطين عام ١١٨٧م الفاصلة، وعنها قالت: «أنهى المسلمون تلك المعركة الفاصلة بهجوم شامل على قلب الجيش الصليبي وأسروا فيه الملك، واستولوا على صليب الصلبوت ووسقوط مقدميهم وأمرائهم أسرى.

كانت خسائر الصليبين فادحة، كما كانت أسراهم في أعداد كبيرة وتقدرهم المصادر الإسلامية بثلاثين ألف أسير ما بين رجل وامرأة، كما كانت العنائم كبيرة[٢١].

ومع تقديري لذلك الرأي إلا إننا علينا الحذر في التعامل مع الأرقام في ذلك

العصر لما تحتويه من احتمال المبالغة كجانب دعائي سياسي.

لقد بحثت مؤرختنا في عوامل انتصار الجيش الأيوبي فقالت: "من الخطوات المهمة التي اتبعها صلاح الدين، والتي أسهمت إلى حد كبير في إنجاح سياسته هو أنه كان يختار مكان وزمان المعركة التي يريدها، كما إنه كان يلجأ أحيانًا إلى الحرب الخاطفة حسب ما أملته الظروف العامة السياسية والاقتصادية والعسكرية(٢٢).

ألفت نظر القارئ هنا إلى عمق تناول مؤرختنا لتلك الزاوية؛ إذ إن ذلك كان معناه كون المعركة العسكرية ما هي إلا امتدادًا لظروف وملابسات متنوعة اقتصادية وسياسية، كما دل قولها على مدى ما تمتع به ذلك السلطان من خبرة عريضة جعلته يفرض مكان وزمان المعركة على الأعداء ويخرج منتصرًا ومعركة حطين خير دليل على ذلك.

من ناحية أخرى، تناولت الدبلوماسية الأيوبية التي هدفت إلى شق صف الصليبيين واصطناع حلفاء جددًا في صورة الإمبراطورية البيزنطية والمدن التجارية الإيطالية، وفي ذلك ذكرت ما نصه:

«نجح صلاح الدين في هذا الاتجاه، حيث وعد الإمبراطور البيزنطي أن يخبر المسلمين بتحركات الحملة الصليبية الثالثة، كما إن الإمبراطور البيزنطي تحالف مع المسلمين ضد السلاجقة في آسيا الصغرى كما شغل السلاجقة بعض الوقت عن الإغارة على المدن الإسلامية في شمال الشام ومضايقة الأمراء المسلمين».

«مد يده إلى الجمهوريات التجارية الإيطالية، ففي مقابل بعض الامتيازات التي منحها لهم صلاح الدين، نقل التجار الإيطاليون أخبار التحركات الأوروبية إلى المسلمين وذلك حماية لمصالحهم الاقتصادية»(٢٣).

واقع الأمر، يعد صلاح الدين الأيوبي صاحب توجه دبلوماسي متوازٍ مع الاتجاه العسكري، وليس في مقدورنا دراسة سياسة دون إدراك أنها قامت على أساسين هما: الدبلوماسية والحرب، وكانت الأولى هي المفضلة لديه دون إفراط أو تفريط.

كما تعرضت مؤرختنا لأحداث الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م)، وأشارت إلى حصار مدينة عكا والمذبحة التي اقترفها الملك الإنجليزي السفاح ريتشارد قلب الأسد (١١٨٩-١١٩٩م) Richard Coeur de Lion في حاميتها وفي ذلك ذكرت ما نصه: «.... أسروا كل من كان في عكا من المسلمين واستولوا على أموالهم، وسلبوا ثيابهم وسلاحهم، ثم قتلوا منهم ألفين في يوم واحد»(٢٤).

جدير بالتعليق، تعد المذبحة المذكورة إحدى المذابح العديدة التي اقترفها الصليبيون على مدى تاريخهم منذ اندلاع الحركة الصليبية، على نحو أكد ما اعتقده المؤرخ البريطاني البارز السير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runciman عندما وصف الحروب الصليبية بأنها آخر الغزوات المتبربرة Last of the barbarian invasions (٢٥).

كما تعرضت فتحية النبراوي لمعركة أرسوف(٢٦) التي حدثت في ٧ سبتمبر عام ١١٩١م وأوجزت الحديث عنها بل لم تذكرها بالاسم !!، وفي ذلك ذكرت ما نصه: «... لكن ريتشارد قلب الأسد تمكن من الصمود في الحرب واستطاع في النهاية أن ينزل الهزيمة بالمسلمين، وهي أول هزيمة تحل بالمسلمين منذ أن قاد صلاح الدين زمام المعركة»(٢٧).

واقع الأمر، تعد المعركة المذكورة ثانوية، ولم تكن حاسمة ولم يستطع ريتشارد قلب الأسد استرداد بيت المقدس بعدها(٢٨).

كما تعرضت مؤرختنا لجهود صلاح الدين الأيوبي الدبلوماسية من خلال صلح الرملة الذي عُقد بينه وبين الصليبيين في ٢ سبتمبر عام ١١٩٢م وفي ذلك قالت: «... بدأت المفاوضات مرة أخرى بين صلاح الدين وريتشارد وانتهت إلى عقد صلح بينهما كانت بمقتضاه الهدنة بين المسلمين والصليبيين لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر على أن يسلموا للمسلمين عسقلان وغزة والداروم وأن يبقى لهم البلاد الساحلية ما بين صور ويافا، وأن تكون الرملة واللد مناصفة بينهم وبين المسلمين، واشترط صلاح الدين دخول بلاد

الإسماعيلية واشترك الصليبيون دخول أنطاكية وطرابلس في الصلح»[٢٩].

واقع الأمر، أشارت المؤرخة المذكورة إلى نظام بلاد المناصفات[٣٠]، وهو أمر اتفق عليه الطرفان خاصة في المناطق الحدودية ذات الأهمية الاستراتيجية أو الاقتصادية على اعتبار أن تكون إدارتها مشتركة بين المسلمين والصليبيين.

أما أ.د. عفاف صبرة[٣١] أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الأزهر، فقد تناولت صلاح الدين الأيوبي ضمن كتابها بعنوان: «دراسات في تاريخ الحروب الصليبية» الصادر بالقاهرة عام ١٩٨٥م.

تناولت المؤرخة الرائدة المذكورة دور صلاح الدين الأيوبي في أعقاب وفاة عمه أسد الدين شيركوه وفي ذلك أوردت ما نصه: «نجح صلاح الدين الأيوبي في تولي الوزارة في مصر عقب وفاة أسد الدين شيركوه سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م، وفي تنظيم أمور الدولة والقضاء على عناصر الفتنة من السودانيين والأرمن وكبار الإقطاعيين الذين كانوا مصدر فساد دائم في البلاد»[٣٢].

واقع الأمر، كان ذلك النجاح الذي أشارت إليه عفاف صبرة بمثابة المقدمة الحقيقية لكافة النجاحات السياسية التالية.

كما عرضت للخطوات التي قام بها ذلك القائد البارز من أجل عودة مصر إلى المعسكر السني، وفي ذلك أوردت ما نصه: «كان أن عمل على تدعيم المذهب الشافعي السني في مصر فحول المساجد والمدارس إلى هذا المذهب، وأحل القضاة الشافعية محل قضاة الشيعة، وبنى مدرسة للمالكية وهي المعروفة بالمدرسة القمحية وكان أن نجح في القضاء على الخلافة الفاطمية تمامًا سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م »[٣٣].

إن أهم ما في الفقرة السابقة يتمثل في إدراك مؤرختنا إلى حقيقة محورية مفادها أن التغيرات الجذرية في التاريخ تحتاج إلى تمهيد فكري وعقائدي، ولا تحدث فجأة بل بصورة متدرجة ومنطقية ولذلك نجد صلاح الدين الأيوبي في تحقيق هدفه

النهائي بإسقاط خلافة الفواطم.

كما تناولت خطة صلاح الدين الاستراتيجية لمحاربة الصليبيين، وأفادت مما ذكره أستاذها العلامة الراحل أ.د. سعيد عاشور حيث ذكرت ما نصه: «الواقع أن الظروف سهلت لصلاح الدين الخطة العسكرية لكي يواجه الصليبيين ورأى ألا يحارب في أكثر من جبهة واحدة وألا يمكن الصليبيين من تعبئة قواهم وتوحيد صفوفهم ردًا على تعبئة القوات الإسلامية»(٣٤).

لا يعني ذلك بالطبع أن الأمر كان سهلاً وميسورًا، بل إن ذلك السلطان الداهية كان يدرك أنه إذا حارب الزنكيين في منطقة الجزيرة الفراتية، لابد وأن يعقد هدنة مع الصليبيين والعكس صحيح، ولذلك لم ينهك قواه في حربين في وقت واحد.

من ناحية أخرى، أدركت عفاف صبرة أهمية القرار الجماعي لصلاح الدين الأيوبي وهي زاوية ميزت رؤيتها عن غيرها من المؤرخات المصريات وفي ذلك قالت: «حقق للعالم الإسلامي انتصارات ضخمة، هذه الانتصارات لم تكن من صنعه وحده وإنما شارك فيها كثيرون فقد اعتاد صلاح الدين ألا يصدر قراراته إلا بعد استشارة مجلس الحرب، فقد كان يشترك في إصدار القرار أخوه وأبناؤه، وأبناء أخيه ورفاقه القدامى وأتباعه الجدد والقاضي الفاضل المشهور بالحذق والذكاء، فضلاً عن الفقهاء والصلحاء»(٣٥).

في تقديري، إن تلك الزاوية تعد محورية من أجل فهم وتعليل نجاحات صلاح الدين الأيوبي العسكرية والسياسية؛ إذ كان الانفراد بالرأي عمومًا كارثة الكوارث على مر التاريخ.

كذلك سعت إلى إبراز ودور ذلك السلطان في أن يكون قدوة للآخرين، وقد تجلى ذلك خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة وسعيه إلى تدعيم دفاعات مدينة بيت المقدس، وفي ذلك قالت: «شرع صلاح الدين في تحصين بيت المقدس وعمارة أسوارها وحفر خنادقها واشترك فيها صلاح الدين وأولاده وأجناده وأمراؤه فضلاً عن

العلماء والفقهاء والقضاة»[٣٦].

هكذا، أبرزت أ.د. عفاف صبرة كيف كان ذلك السلطان مشاركًا شخصيًّا في تحصين المدينة المقدسة التي منحت اسمه الخلود في التاريخ دونما مبالغة.

أما أ.د. زبيدة عطا[٣٧] أستاذ العصور الوسطى بجامعة حلون، فقد تناولت صلاح الدين الأيوبي ضمن دراستها بعنوان: «الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين» الصادر بالقاهرة عام ١٩٩٤م.

تعرضت المؤرخة الرائدة المذكورة على نحو خاص للعلاقات الدبلوماسية بين صلاح الدين الأيوبي والبيزنطيين وفي ذلك أوردت ما نصه: «حدث قبيل الحرب الصليبية الثالثة أن انحاز صلاح الدين سلطان مصر والشام إلى أكبر دولة مسيحية في الشرق الدولة البيزنطية للمحافظة على مصالحها المشتركة التي تنطوي على مقاومة اللاتين في الأرض المقدسة، واعتبر الغرب هذا الاتصال انتهاكًا لرابطة الدين وتحطيمًا للتقاليد؛ وذلك لأن الحروب كادت تكون مستمرة بين البيزنطيين والمسلمين منذ ظهور الإسلام»[٣٨].

واقع الأمر، كان فتح صلاح الدين الأيوبي لقناة اتصال دبلوماسية مع البيزنطيين دليلاً على ما تمتع به من حنكة سياسية وقدرة فذة على شق الصف الصليبي واستغلال للخلافات الصليبية البيزنطية التي كان المسلمون على معرفة تامة بها دينيًّا وسياسيًّا.

كما تعرضت لأمر السفارات المتبادلة بين الجانين خاصة في عهد الإمبراطور إسحاق الثاني أنجيلوس[٣٩] Issac II Angelos (١١٨٥-١١٩٥م)، وفي ذلك قالت ما نصه: «في فبراير – إبريل ١١٩٠، وفي نفس اللحظة التي عقد فيها الصلح مع فردريك، وسمح له باجتياز أراضيه، كتب إسحاق للمرة الثانية، يذكر صلاح الدين بأنه أعاد الخطبة للخليفة العباسي في مسجد القسطنطينية، ويؤكد من جديد صداقته للمسلمين

وشرح أيضًا بأنه اضطر إلى أن يسمح لفردريك باجتياز بلاده، غير أنه أعلن أن الإمبراطور الألماني وجيشه لن يستطيعوا القتال إذا وصلوا إلى الشام»، لقد اتبع الإمبراطور كل أنواع الخداع والغش أثناء سيره، وما تعرض له من متاعب أو ما تعرضت له مؤنه من النقص، كل ذلك أضعفه واخلفه، فلن يبلغ بلادكم في صورة سليمة، فسوف يجد قبره هنالك، ولن يعود إلى بلاده وسوف يقع فريسة في الشرك الذي نصبه»(٤٠).

من المعروف أن الإمبراطور فردريك باربروسا(٤١) لم يتمكن من الوصول إلى بلاد الشام ليشارك الصليبيين في حصار عكا، حيث غرق في نهر سالف Saleph ؛ وهو أحد أنهار كيليكيا Cilicia في آسيا الصغرى Asia Miner في عام ١١٩٠م، وبالتالي افتقد الصليبيون عنصر دعم بارز وتحولت حملته إلى موكب جنائزي بعد أن تفرق جنوده وانتشر المرض في صفوفهم ووصل إلى عكا عدد قليل منهم.

واقع الأمر، أظهرت الإشارة السابقة التي أوردتها أ.د. زبيدة عطا صدق مقولة أنه في عالم السياسة لا توجد عداءات دائمة ولا صداقات دائمة بل هناك مصالح دائمة.

وجاءت الصلات الدبلوماسية بين الأيوبيين والبيزنطيين لتمثل دليلاً ساطعًا على مدى دهاء صلاح الدين الأيوبي في شق الصف الصليبي واصطناع حلفاء جدد ضد الوجود الصليبي الذي مثل خطرًا داهمًا على الجانبين الإسلامي والبيزنطي.

أما المؤرخة زينب عبد القوي أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد بجامعة الزقازيق، فقد تعرضت لصلاح الدين الأيوبي من خلال دراستها بعنوان: «الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩–١٢٩١م»، الصادر بالقاهرة عام ١٩٩٦م.

تناولت المؤرخة المذكورة أحداث الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩–١١٩٢م) ودور الملك الإنجليزي ريتشارد قلب السد خلالها وصراعه المرير مع صلاح الدين

الأيوبي بشأن بيت المقدس، وفي ذلك أوردت ما نصه: «... فبعد رحيل فيليب أغسطس عائدًا إلى بلاده أصبح ريتشارد القائد الفعلي للجيوش الصليبية، بالرغم من معارضة بعض الفرنسيين والكثير من البارونات لزعامته، وبدأ ريتشارد في الاستيلاء على قلاع وموانئ ساحل فلسطين من عكا إلى عسقلان واستولى على حيفا وقيسارية في إطار زحفه جنوبًا باتجاه بيت المقدس ثم الانتصار على صلاح الدين في معركة أرسوف في سبتمبر ١١٩١م والاستيلاء على قلعة داريوم في مايو ١١٩٢م، وفي أثناء ذلك قام صلاح الدين باستدعاء أخيه العادل لتدمير وتخريب جميع المدن والقلاع باستثناء الكرك وبيت المقدس، وتمكن ريتشارد من احتلال يافا، وعلى مدى محاولتين للزحف برًا باتجاه المدينة المقدسة، كان يُرغم على العودة أمام الهجوم الإسلامي على خطوط إمداداته»(٤٢).

واقع الأمر، أشارت المؤرخة المذكورة إلى عجز ريتشارد قلب السد عن الاستيلاء على بيت المقدس، وتعليل ذلك استبسال صلاح الدين الأيوبي وجيشه في الدفاع عنها ومنع الصليبيين من استعادة الوضع السياسي والعسكري الذي كان قائمًا قبل معركة حطين الحاسمة في ٤ يوليو ١١٨٧م واسترداد المدينة المقدسة في ٢ أكتوبر من العام المذكور.

من ناحية أخرى، فإن القلعة المذكورة ليس اسمها داريوم بل الداروم.

تعرضت د. زينب عبد القوي إلى الانقسام بين الفرنسيين والإنجليز بشأن الزحف صوب بيت المقدس حيث أيد الأولون ذلك، وعارضه الآخرون، وفي ذلك أوردت ما نصه: «وأخيرًا وأمام هذا الانقسام اقترح ريتشارد إحالة الأمر إلى التحكيم لينتهي الأمر برفض الرأي القائل بمهاجمة بيت المقدس، وأدرك ريتشارد بأنه حتى لو تمكن من الاستيلاء على المدينة سوف يكون غير قادر على الاحتفاظ بها»(٤٣).

من زاوية أخرى، عندما تعرضت لظروف عقد اتفاق للسلام بين الطرفين المتصارعين قالت: «تجدر الإشارة بأن رغبة ريتشارد في الصلح مع صلاح الدين بعد

أن أصبح على مرمى البصر من المدينة المقدسة كانت بدافع الرغبة في العودة السريعة إلى بلاده بعد تردد الأنباء التي تعكس طبيعة الأوضاع السيئة في إنجلترا أثناء غيابه والتي كان لها أكبر الأثر في تخلي ريتشارد مرغمًا عن الحملة التي تزعمها من البداية»[٤٤].

واقع الأمر، من الممكن الاختلاف مع المؤرخة المذكورة فيما يتصل بأن ظروف ريتشارد في بلاده كان لها أكبر الأثر في تخليه عن الحملة التي تزعمها؛ إذ إن المنطق يدعو إلى القول بأن مقاومة صلاح الدين وجيشه للصليبيين هي التي كان لها أكبر الثر، وليس الأحداث التي كانت تجري في إنجلترا من تعاون فيليب أغسطس [٤٥](١١٨٠-١٢٢٣م) مع الملك يوحنا لاكلاندر (١١٩٩-١٢١٦) [٤٦] شقيق ريتشارد ضد مصالح أخيه.

أما فيما يتصل بصلح الرملة فقالت عنه: «أخيرًا وفي أغسطس ١١٩٢م وبعد أن أدرك ريتشارد استحالة تحقيق هدفه الرئيس بالاستيلاء على بيت المقدس، وأنه ليس هناك ثمة بديل آخر على التفاوض، فقد وافق كل من ريتشارد وصلاح الدين بعد مفاوضات مطولة على هدفه لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وثلاث ساعات ابتداءً من عيد القيامة ١١٩٢م والتي اصطلح على تسميتها بصلح الرملة»[٤٧].

يلاحظ وجود بعض الملاحظات على الفقرة السابقة وهي على النحو التالي:

أولاً – تم التوصل إلى الاتفاق المذكور وتوقيعه في ٢ سبتمبر عام ١١٩٢م ولم يكن ذلك في شهر أغسطس كما ذكرت المؤرخة المشار إليها.

ثانيًا – لم يرد في المؤلفات المتخصصة عن عصر الحروب الصليبية اشتمال الاتفاق على مسألة الثلاث ساعات ولذلك لا يمكن قبولها.

ثالثًا – من الجلي البين تأثر المؤرخة المذكورة بالترجمة من المراجع الإنجليزية الجديدة التي تريد إظهار الملك الإنجليزي في صورة قوية دون الاعتراف ببسالة

الطرف الإسلامي في ذلك الصراع المرير.

تلك صورة صلاح الدين الأيوبي لدى عدد من المؤرخات المصريات، وعندما نقارن بينهن تتضح لنا الملاحظات التالية:

أولاً – كانت المؤرخة الرائدة أ.د. سيدة كاشف أول من اتجه إلى إعداد دراسة مستقلة عن صلاح الدين الأيوبي، وقد صدرت في ثمانينيات القرن الماضي، بينما لم نجد مؤرخة مصرية أخرى تخصص دراسة عنه، وقد انحازت له انحيازًا كبيرًا منذ العنوان ذاته وعلى مدى صفحات الكتاب.

ثانيًا – تناولت أ.د. فتحية النبراوي صلاح الدين الأيوبي ضمن دراستها الخاصة بالعلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى، وجاء تناولها له دون الانحياز العاطفي المتدفق الذي وجدناه لدى سيدة كاشف.

ثالثًا – تعرضت أ.د. زبيدة عطا لصلاح الدين الأيوبي من خلال زاوية جديدة في صورة العلاقات الدبلوماسية الأيوبية مع بيزنطة وسلطت الأضواء الكاشفة عليها على نحو أكد لنا الجانب الدبلوماسي لدى ذلك السلطان الذي تمكن من الوصول ببراعة إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية من خلال لغة المصالح المتبادلة وقد أوجدها العدو الصليبي المشترك.

رابعًا – كانت المؤرخة الرائدة أ.د. عفاف صبرة مدركة لعدم الوقوع في أسر البطل الفرد الذي يحرك التاريخ بمفرده لذلك أكدت لنا على جماعية قرار صلاح الدين السياسي والعسكري حيث امتلك مجموعة بارزة من المستشارين سواء من أقاربه أو من كمبار الفقهاء والعلماء ورجال الدولة الذين أخلصوا له النصح مما انعكس إيجابيًّا على النجاحات التي حققها ودخل بها التاريخ من أوسع الأبواب.

خامسًا – اشتركت المؤرخات الخمسة المشار إليهن في الإعجاب والتقدير لشخص صلاح الدين الأيوبي، فلم يدركن له أي سلبيات وهي صفة عامة في كتابات المؤرخات عمومًا إذا ما قورنت بمؤلفات المؤرخين في مصر والعالم العربي،

وتعلل ذلك أن المؤرخة تتجه إلى التعبير عن اللاشعور الذي يميل نحو الأب الذي يملك العديد من الصفات الحميدة، لذلك نظرن لصلاح الدين الأيوبي كنوع من الاحتياج النفسي الذي انعكس بالضرورة على معالجتهن التاريخية.

سادسًا – الملاحظ أن المؤرخات الخمسة المشار إليهن، كلهن أعضاء تدريس في الجامعات المصرية، في صورة جامعة عين شمس، وجامعة حلوان، وجامعة الزقازيق، وجامعة الأزهر، وبالتالي نحن أمام مؤرخات أكاديميات محترفات، ولا نجد بينهن من هي هاوية لكتابة التاريخ، وذلك على عكس ما نجده لدى الكاتبة الصحفية الفرنسية جنفيان شوفيل التي أصدرت كتابًا بعنوان: «صلاح الدين بطل الإسلام».

سابعًا– أكدت لنا دراسة الدكتورة زينب عبد القوي عدم إمكانية كتابة تاريخ إنجلترا في العصور الوسطى خاصة عصر الحروب الصليبية دون تناول صلاح الدين الأيوبي وصراعه المرير مع ريتشارد قلب الأسد، وينطبق ذلك على تاريخ كل من ألمانيا وفرنسا وإيطاليا مما أكد لنا أننا أمام تاريخ عالمي لذلك السلطان دون أن نتهم بالمبالغة وأذكر القارئ هنا أن أية دائرة معارف في الشرق والغرب تحتوي بالضرورة على مادة ثابتة عن صلاح الدين.

ثامنًا – انتمت المؤرخات الخمسة المذكورات إلى ثلاثة أجيال ؛ إذ إن سيدة كاشف مثلت جيلاً رائدًا، وكل من فتحية النبراوي وعفاف صبرة وزبيدة عطا مثلن جيلاً تاليًا، ومن بعده جيل آخر مثلته زينب عبد القوي، وقد دل ذلك على أن الحديث عن ذلك السلطان عابر للأجيال ولم ينته بعد وهي زاوية تحتاج منا إلى التأمل بعمق عن سلطان توفي في فجر الأربعاء ٤ مارس ١١٩٣م، ولا تزال هناك مؤلفات عنه، ولن تزل، مما أكد استمراريته التاريخية من بعد الرحيل الجسدي.

ذلك عرض عن صلاح الدين الأيوبي في كتابات المؤرخات المصريات كنماذج مختارة.

الهوامش

(١)- عن سيدة كاشف انظر: محمد مؤنس عوض، رواد تاريخ العصور الوسطى في مصر، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص٢٧٨، ص٢٨٧.

(٢)- عن مؤلفاتها انظر: محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص٢٧٩، ص٢٨٤.

(٣)- سيدة كاشف، صلاح الدين الأيوبي بطل وحدة الصف العربي الإسلامي وبطل الجهاد في سبيل الله، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٢٦.

(٤)- نفسه، ص٣٩.

(٥)- سيدة كاشف، صلاح الدين الأيوبي، ص٤١. وعن سقوط الخلافة الفاطمية انظر: ابن حماد، تاريخ ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، ط. القاهرة ١٤٠١هـ، ص٦٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٥، ط. القاهرة، ب-ت، ص٣٤١، الذهبي، دول الإسلام، تحقيق شلتوت ومصطفى إبراهيم، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ص٧٩، ص٨٠.

(٦)- سيدة كاشف، صلاح الدين الأيوبي، ص٤٩.

(٧)- عن رينو دي شاتيون انظر:

Peter of Blois, Passio Regnaldis, P.L. 207, 1904, Cols. 957-976.

G. Schlumberger, Renauld de Chatillon prince d' Antioche, paris 1933.

B. Hamilton, Reynald of Chatillon, the Elephant of Christ, S.C.H., 15, 1978, p.1. 97-108.

(٨)- سيدة كاشف، صلاح الدين الأيوبي، ص٧٤، وعن الحملة المذكورة انظر:

Ernoul, Chronique d' Ernoul et Bernard le Tresorier, ed. Mas Latri, paris 1971, p. 69-70.

عائشة عبد الله، البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م، ص٤١، ص٤٤، حسن عبد الوهاب، مصر وأمن البحر الأحمر في عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية ١٩٩٧م، ص٢٠٣، ص٢٠٤. أميرة مصطفى أمين أرناط حاكم أنطاكية والكرك (١١٥٣-١١٨٧م/٥٤٨-٥٨٣هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات بجدة عام ١٩٨٤م.

L. Leiser, the Crusader Raid in the Red Sea 578/1182-83, J.A.R.C.E., 14, 1977, p1. 87-99.

(أفضل دراسة متخصصة بالإنجليزية في موضوع حملة أرناط على الحجاز).

(٩)– عن حسام الدين لؤلؤ انظر: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ق١/ج١، ط. القاهرة ١٩٥٦م، ص٧٩، سعاد ماهر، البحرية في مصر افسلامية وآثارها الباقية، ط. القاهرة، ١٩٦٧م. ص١٠٦، حسنين ربيع، البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، سمنار التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس إشراف أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة ١٩٨٠م.

B. Hamilton, the leper king and his heirs, Buldwin TV and the crusader kingdom of Jerusalem, Cambridge 2000, p. 183.

(١٠)– معركة حطين انظر:

De Expugation: Saladin's Victory, at Hattin in 1187, in Andrew Holt & James Muldoon, Fighting Words, competing voices from the Crusades, Oxford 2008, pp.93-97.

Letter to Archumbald on Hatti, 1187, pp. 97-99.

Letter of patriarch Eraclius of Jeruslem to pope urban III on Hattin, 1187, pp. 99-100. =

= The Old Continuation of William of tyre 1194-1197, in the conquest of Jerusalem and the Third Crusade, sources in translation, ed. P.W. Edbury, Hampshire 1996, pp. 158-163.

B.Z. Kedar, (ed.), the Horns of Hattin, Jerusalem 1992.

ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٦، ص٧٥–ص٧٩، يوسف سامي اليوسف، حطين، ط. دمشق ١٩٨٨م.

(١١)– سيدة كاشف، صلاح الدين الأيوبي، ص٨٣.

(١٢)– عن الجيش الأيوبي، انظر: الهروي، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، ط. القاهرة، ب–ت، صلاح البحيري، ديوان الجيش في الدولة الأيوبية، الوسم التفاني للجمعية التاريخية المصرية (١٩٧٦–١٩٧٧)، ط. القاهرة ١٩٧٨م، ص١٦٩، ١٩٠. نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين، ط. القاهرة، ١٩٥٩م. محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ط. بيروت، ١٩٨٦م. مرفت عثمان، التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠١٠م.

S. Elbeheiry, les institions de L' Egypte au Temps des Ayyubides, lille 1972.

(١٣)– عن القلاع الصليبية انظر:

P. Deschamps., les Chateaux des croises en terre sainte, Crac des Chevaliers, paris 1939.

R. Fedden and J. Thompson, Crusader Castles, Beirut 1957. =

= S. Boase, Military Archirtecture in the Crusader States in Palestine and

Syria, in K.setton (ed.), A History of the Crusades, vo1. TV, Madison 1977, pp. 140-164.

(١٤)- سيدة كاشف، صلاح الدين الأيوبي، ص٩٤.

(١٥)- عن وليم الصوري انظر:

William of Tyer, A History of Deeds done, beyond the sea, trans. E. A. Babcock and A. C. krey, 2 vols., New York 1943.

P. Edbury and J. B. Rowe, William of tyre, Historian of the latin East, Cambridge 1988.

محمد مؤنس وهنادي السيد محمود، المؤرخ الصليبي وليم الصوري (حوالي ١١٢٧-١١٨٦م) بين رؤيتين عربية وغربية – بحوث ودراسات، ط. القاهرة، ٢٠١٧م.

(١٦)- وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ت. سهيل زكار، ج٢، ط. دمشق ١٩٩٠م، ص٩٣٦.

(١٧)- سيدة كاشف، صلاح الدين الأيوبي، ص٩٤.

(١٨)- عن أ.د. فتحية النبراوي انظر: محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية في مؤلفات المؤرخين المصريين المحدثين، ط. القاهرة ٢٠١٦م، ص٢٩٠، ص٣٠٥.

(١٩)- فتحية النبراوي، العلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى ١٠٠٠ – ١٣٠٠م، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص٢١٠.

(٢٠)- نفسه، ص٢١٩.

(٢١)- فتحية النبراوي، العلاقات السياسية الإسلامية، صـ ٢٤٣.

(٢٢)- نفسه، ص٢٥٤.

(٢٣)- نفسه، ص٢٥٣، ص٢٥٤.

(٢٤)- فتحية النبراوي، العلاقات السياسية الإسلامية، ص٢٥١.

(25) S. Runciman, A History of the Crusades, penguin Books, London 1978, preface.

(٢٦)- عن معركة أرسوف انظر:

Geoffrey of vinsauf, Crusade of Richard Coeur de lion , in chronicles of the Crusades, London 1908, p. 238-239.

Ambroise, the Crusade of Richard Heart of lion, trans. M.J. Hubert, New York 1943, p. 260.

H. Gibb, the life of saladin, Oxford 1973, p. 71.

محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي – الصليبي، معركة أرسوف ١١٩١م-٥٨٧هـ، ط.

M.E.R.C ISSN 2536-9504

القاهرة ١٩٩٧م.

وعن أرسوف بصفة عامة عصر الحروب الصليبية انظر هذه الدراسة:

زين العقاد، إقطاعية أرسوف في العهد الفرنجي ٤٩٤-٦٦٣هـ/ ١١٠١-١٢٦٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح بنابلس، فلسطين عام ١٩٩٦م. وعنها انظر:

سعيد البيشاوي وتيسير جبارة، أعلام من فلسطين معجم المؤرخين الفلسطينيين في القرنين العشرين، ط. رام الله ٢٠١٠م، ص٢٠٣.

(٢٧)- فتحية النبراوي، العلاقات السياسية الإسلامية، ص٢٥١.

(٢٨)- عن ذلك انظر: دراستي عن معركة أرسوف السالفة الذكر.

(٢٩)- فتحية النبراوي، العلاقات السياسية الإسلامية، ص٢٥٢.

(٣٠)- عن بلاد المناصفات انظر: علي السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ط. القاهرة ١٩٩٦، ص٤٣- ص٧٣ (عمل علمي رائد ومتميز لم يأخذ حقه من التقدير).

(٣١)- عن عفاف صبره انظر: محمد مؤنس عوض، بحوث في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري، مهدى تكريمًا للأستاذة الدكتورة عفاف صبرة، ط. القاهرة، ٢٠١٣م، ص٧، ص١٠.

(٣٢)- عفاف صبره، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص٣٩.

(٣٣)- نفسه، نفس الصفحة.

(٣٤)- عفاف صبره، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص٤٥.

(٣٥)- نفسه، ص٦١.

(٣٦)- نفسه، ص٦٠.

(٣٧)- عن زبيدة عطا انظر: محمد مؤنس عوض، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري لتكريم أ.د. زبيدة عطا، ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص٨، ص١٣، نفسه الحروب الصليبية في مؤلفات المؤرخين المصريين المحدثين، ص٢٢٧، ٢٤١.

(٣٨)- زبيدة عطا، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص٨٥.

(٣٩)- عن إسحاق الثاني أنجيلوس انظر: محمد مؤنس عوض، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب، ط. القاهرة ٢٠١٥م، ص٥٦٧-ص٥٦٨.

C.M. Brand, the Byzantines and Saladin 1185-1192, opponents of the third crusade, S., xxxvII, 1962, pp. 167-181.

D. Nicol, A biographical Dictionary of the Byzantine Empire, London 1999, pp. 50-51.

(٤٠)- زبيدة عطا، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية، ص٩٦، ص٩٧.

(٤١)- عن فردريك باربا روسا انظر:

Otto of Freising , the deeds of Frederich Barbarossa by Otto of Freising and his continuator Rahewin, Trans. Charles C. Mierow, New York 1953.

Otto of St. Blasion, the crusade of Freserick Barbarossa, in source book of Medieval Europe, New York 1902, pp 529-535. =

= P. Munz, Freserick Barbarossa, A study in Medieval politics, London 1969.

(٤٢)- زينب عبد القوي، الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من (١١٨٩-١٢٩١م)، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص١٣٤.

(٤٣)- زينب عبد القوي، الإنجليز والحروب الصليبية، نفس الصفحة.

(٤٤)- نفسه، ص١٣٥.

(٤٥)- عن فيليب أغسطس انظر:

Guillaume de Nangis, les Gestes de philipe Augustus, Extraits des grandes chroniques de Franc, R.H. G.F., T. XvII, p1. 346-417.

J. Bradbury, Philip Augustus king of France 1180-1223, London 1998.

فاطمة الشناوي، فيليب أغسطس ملك فرنسا (١١٨٠-١٢٢٣م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان عام ٢٠٠٠م.

(٤٦)- عن الملك يوحنا لاكلاند انظر: سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، ج١، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص٤٧٤، ص٤٧٧.

(٤٧)- زينب عبد القوي، الإنجليز والحروب الصليبية، ص١٣٥.

Middle East Research Journal

Refereed Scientific Journal (Accredited) Monthly
Issued by Middle East Research Center

Forty-seventh year · Founded in 1974

Vol. 64 June 2021
Issn: 2536-9504
Online Issn :(2735-5233)